واما الزراعة وتقدمها ووفرة بركاتها فحدث عنها ولا حرج ، فبغداد وما بين دجلة والفرات اخصب قطعة في العالم ، وينبئك عن البيان شهرة دجلة والفرات اللذين هما طريقان ماثيان عظيمان ينصبان الى بغداد قادمان من الشمال يأتيها الاول رأساً والثاني بايوصله بدجلة من الانهر والسواعد والجداول. ودجلة تتصل بالبصرة اتصالاً لا ينقطع ثم تتصل البصرة بخليج فارس وهذا بخليج عمان الى باقي البحار الكبيرة. وانت تعلم شأن هذه البقعة وخصبها وجودة مناخها ومن هذه البقعة تدفقت ينابيع الثروة على العباسيين ويكفينا ما ذكره ابن خلدون عن جباية السواد - في بعض سنوات كانت في عهده قال جباية السواد ٢٧،٨٠٠،٠٠٠ درهم ومن الحلل النجرانية ٢٠٠ ومن طين الختم ٢٤٠ رطلاً وهذه الارقام قليلة بالنسبة الى ماجاء في قائمة قدامة بن جعفر فقد جاء فيها ان جباية السواد في عهد المعتصم بلغت ١١٤،٤٥٧،٦٥٠ درهم وكانت جباية السواد على قباذ بن فيروز الفارسي بلغت الف الف وخمسين الف الف درهم مثاقيل . وهذا مايدلك على ماكان عليه العراق من العمران في سالف الزمن ، ولا عجب اذا قال المؤرخون : كانت جباية الحكومة العباسية من تاجر واحد من تجار البصرة ١٠،٠٠٠،٠٠٠ دينار في العالم، فاين تجارة اليوم وزراعته من تجارة أمس وزراعته ،واين تلك الاراضي المزروعة وخراجها واراضي هذا العهد وخراجه؟ اعاد الله كل شيء الى سابق مجده ، وسامق عزه ، بمنه وكرمه .

ابرهيم حلمي

سعدون باشا السعدون

١ نسبه

سعدون باشا (١) هو ابن شيخ المنتفق منصور باشا ابن راشد بن ثامر ابن الشيخ (٢) سعدون (٣) المشتهرة به تلك

(١) لاالقب من هؤلاء الامراء يلقب الباشا الامن لقبته به الدولة العثمانية .

(٢) لااسمى بعض هؤلاء الامراء بالشيوخ الامن عرفته منهم متولياً المشيخة فعلاً وباسم من الدولة العلية .

(٣) قتل في وقعة جرت لمعسكر الحكومة العثمانية حينما كان نازلاً في بابه

الحولة(١) فيقال آل سعدون(٢) او السعدون. وكان اسم أم سعدون باشا «لطيفة» وهي ابنة من آل سيق. وسيق فخذ من آل صالح من آل شبيب. وقد تفرع منهم عدة غصون توابع منهم: آل صالح المذكورون، وآل محمد، وآل روضان، وآل راشد(٣) وهم قاطنون الآن في املاكهم في نواحي سوق الشيوخ؛ وآل سقر (٤) وغيرهم. واما الشيخ سعدون المذكور اعلاه رافع شهرة هذه الاسرة الشريفة فانه فرع غصن من اغصان هذه الدوحة الباسقة الفتوة.

بلاد العرب وربما كان غير بعيد عن بلدة (السماوة) الحالية لا القديمة. وقد روى لي بعض الثقات من يعول على روايتهم: ان الحكومة العثمانية كانت قد ارسلت عليه عسكراً تطلب منه امراً فلم يقم به. وما ابطأت ان دارت رحى الحرب بين الفريقين فظفرت العرب او كادت. فرأى في اثناء الظفر عجوزاً قد طعنت في السن وقد ابطأت في النهوض للرحيل فاتاها راكباً جواده وهي لا تعرفه فحثها على الرحيل محذراً من ان يفتك بها. فقالت: مهلاً. ويحك! ما بالك تأمرني بهذا وشيخنا الشيخ سعدون. فقال لها: لك ما تريدين من المهلة. وبقي بجانبها ينتظر نتيجة امرها. واذ كان القتال ناشباً اتاه من جنده صريخاً قائلاً: فلله دره من شيخ يحن على اضعف تابعيه!

(١) الحولة عند مصطلح العراقيين الاسرة او السلالة الشريفة النبيلة النجيبة العريقة النسب. وبعض اهل المدن يقولون بدلها « خاندان » وهذه فارسية الاصل. والحولة عربية النجار فصيحة الاستعمال وهي ماخوذة من السيد الحول وهو الكرم العريق الشرف الحمول للعظائم وقد ذكر هذا المعنى اللغويون في تفسيرهم كلمة خضارم (كعذافر) التي هي من مرادفات الحول.

(٢) واليك تمة نسب السعدون: والسعدون هو ابن الشريف محمد ابن الشريف شبيب بن مانع بن شبيب بن مانع بن مالك بن سعدون بن ابرهيم (الملقب باحمر العينين) بن كبش بن منصور بن جابر بن شيحا بن هاشم بن قاسم (الملقب بابن فليتة) بن مهنا بن حسن (المشهور بابن ابي عمارة) بن مهنا الاعرج (الملقب بابن ابي هاشم داود) بن قاسم بن عبد الله بن ظاهر بن يحيى النسابة بن الحسن بن الجعفر الحجة بن عبد الله الاعرم بن الحسين الاصغر ابن الامام زين العابدين ابن الامام ابي عبد الله الحسين بن علي بن ابي طالب امير المؤمنين وخليفة رسول المسلمين.

(٣) هو غير راشد والد الشيخين: الشيخ ناصر باشا الوزير والشيخ منصور باشا صاحب رتبة روم ايلي بكلربكي وتسمى اختصاراً روم ايلي.

(٤) ويلفظونها بالكاف الفارسية او الجيم المصرية واغلبهم اليوم في جهات البصرة مقيمين في املاكهم الكثيرة النخيل.

٢ سنة ولادته وسنوه الاول

اما سنة ولادة سعدون باشا (وهو غير الشيخ سعدون لان هذا جد ذاك) فلم اقع عليها بنوع لاريب فيه . لكني لاظن انها قبل عام ١٢٧٠ه الموافق لعام ١٨٥٣م . واتفق اننا لما ترعرع كان قد اضطر ابوه ان يقيم في بغداد فاخذ الصبي يختلف الى احد مكاتب الحكومة وشرع يدرس مبادئ اللغة التركية غير ان احد الطلبة هزأ بقومه وبمرويته فانقطع عن التردد الى المكتب وابت نفسه العظيمة الابية ان تقبل الذل والصغار لاسيما في امر يحق لها ان تتفاخر به امام اقوام جميع الديار، فكان ذلك سبباً لامتناعه بتاتاً عن اتمام الدروس التي كان قد هم بها .

٣ شبابه وكهولته

ولما شب نال رتبة امير الامراء الرفيعة بفضل ما احرز من المآثر والمحامد ويسعى عمه فخر الاسرة السعدونية ومجدها الشيخ ناصر باشا (١) وذلك دليلاً عما ابرزه من تلبية امر الحكومة وحسن الخدمة عند مد سلك البرق في تلك الاوجاء بعد انقطاعه (٢) ولما ارسلت الحكومة جيشاً بقيادة لرئيس عزت باشا (٣) لاذعان واخضاع اسرة آل سعدون وعشائر المنتفق وادخال ديارهم تحت حوزتها الحقيقية ورفع ادنى تسلط بقي لهم هناك نشبت الحرب بين الفريقين في اواخر قيظ سنة ١٢٩٧ مالية الموافقة لاواخر سنة ١٢٩٨ه و ١٨٨١م فاصيب سعدون بجرح اعله كان رمزاً الى مستقبل حياته وطوارئ ايامه.

---

(١) لم يكن ناصر باشا يومئذ وزيراً وقد حاز رتبة « ميرميران » العالية الشان التي لم يكن قد نالها اسلافه بموجب فرمان ورد الى بغداد مع بريد الاستانة في ٥ ذي الحجة الموافق ١١ نيسان ١٨٦٧م وكان قد اودع حسني افندي باور الولاية ليوصله اليه فسلمه اياه في ١٠ ذي الحجة من تلك السنة في « منثر الشويلات » الواقع في منحدر « قلعة سكر » وهو على الفرات على نحو ثلاث ساعات من القلعة المذكورة . والمنثر في اصطلاحهم محل تشحن فيه حاصلات الزروع التي توضع احتياطياً ضمن اوعية متخذة من البواري اي من حصر القصب (٢) مد سلك البرق مجتازاً ديار المنتفق محاذياً الفرات غير بعيد عنه في عهد قيم مقامها الشيخ فهد باشا (يومئذ فهد بك) واول مفاوضة جرت بهذا الخط بين بغداد والبصرة حكانت في غرة رمضان ١٢٨١ الموافق ٢٨ شباط سنة ١٨٦٥م (٣) وكان مع الجيش المذكور كثير من اعراب عشائر ربيعة وزبيد وغيرهم وعليهم رؤساؤهم يقودونهم .

وكان يقرأ العربية ويكتبها بسهولة عظيمة . ويحسن شيئاً من التركية وكان ديناً تقياً سنياً مالكي المذهب ، وقد شد الرحال براً قياماً بالفرض الواجب عليه وهو حج البيت فعاد وقد ازداد تمسكاً بالدين مكباً على مطالعة الاسفار حافظاً لبعض الاحاديث وشيئاً من تاريخ العرب قبل الاسلام. وكان يلقى سمعه لمن يروي الاخبار التاريخية وينشد الشعر او القصيد (١) . وكان يعرف من هذا شيئاً ليس بيسير وكان يميل كل الميل الى الوقوف على ما يتعلق بتاريخ اسلافه ويحفظه واذا تولى رواية اخبارهم يظن السامع انه يسمع احد معاصري اولئك المشاهير المغاوير. وممن كان يروي أخبارهم يحمس واباه وتوقد خاطر بعض متقدمي احداده كالشيخ سعدون والشيخ حمود آل ثامر (٢)

(١) القصيد (ويلفظها الاعراب كافاً فارسية او جيماً مصرية وبكسرها كسراً غير بين ضرب من النظم على بحر خاص يهم يلهجون به كثيراً وينظمونه على مواضيع مختلفة من حماسة وغزل ومديح وغيرها (٢) هو الشيخ حمود بن ثامر ابن الشيخ سعدون المعروف بحمود الاعمى وشاخ (اى صار شيخاً اى رئيساً او اميراً) في ديار المنتفق نحو ٢٠ سنة ثم كف بصره واستمر على المسند (المسند وزان مكتب في اصطلاحهم تخت مفروش يعلو الارض نحو شبر لا يجاوز طوله متراً او متراً ونصف متر في متر واحد عرضاً ومحاط بمايتكا عليه وهو خاص بعدة الشيخة (بالكسر كالشيوخة والمشيخة عندهم) (ولا يجوز لغيرهان يتخذه لنفسه والمسند مجازاً الشيخة) بعد ذلك نحو عشرين سنة ايضاً فكان مجموع سني شيخته نحو اربعين سنة وقد جاء ذكر اسم الشيخ حمود المشار اليه في كتاب المؤرخ احمد راسم بك واسمه (رسلي وخريطه لي عثماني تاريخي) في المجلد ٤ : ١٦٦٥ فقد قال ما تعريبه « واتفق عبد الله باشا مع الايرانيين وذلك عند رويته الملوك سعيد بك (اى سعيد بك الكوله من وهو ابن سلفه سليمان باشا) فاراً الى جهات المنتفق متصوراً ان بذلك يحصل على منصب كالمقام الولاية وبيان عبد الله باشا كان قد انهم عبد الرحمن باشا بميله الى الايرانيين عزله لكنه انثنى عن عزمه فعينه متصرفاً لالوية (بابان وكو وحرير) ومع هذا فان عبد الله باشا وقع في ما كان يحذره وذلك انه لما سار الى ديار المنتفق قاصداً استئصال شافة سعيد بك اخذ حمود الثامر شيخ الحطة المذكورة سعيد بك الموما اليه عنده وقابل الباشا بعشرين الف فارس وفي اثناء ذلك تراجع جميع الممالك الذين كانوا موجودين في معسكر عبد الله باشا صباحية خفية بعضهم مع بعض ثم لحقوا بالمنتفق . فاسر عبد الله باشا ولما توفى ابن حمود الثامر الذي جرح في هذا القتال عمد الشيخ حمود فذبح عبد الله باشا وطاهراً (كتخدا الباشا)

والشيخ عقيل آل محمد (١) والشيخ عيسى (٢) وغيرهم .

٤ صورته ووصف خلقه وخلقه وامور معيشته

كان سعدون باشا مربوع القامة الى القصر ماهي ، نحيف البدن لاشتغال افكاره بالامور على الدوام ، اسمر اللون ، وكان له عينان سوداوان نيرتان وقادتان نجلاوان ، متوسط الانف حسنه . شعره اسود حالك ليس بالكثير الوافر ، ولا بالقليل المتفرق ، وفي اواخر ايامه كان يخضب شعره بالاسود .

وكان يشد على راسه العقال والكوفية . وكان عقاله من جنس عقال ابي العبيات ، (وهو العقال المحكم الشد بين فسحة وفسحة وهذه الشدة او الربطة تعرف بالضبة ومنه هذا الاسم) وربما كانت كوفيته في الشتاء من جنس الضريب (والضريب من الكوفيات ما كان ارضها اصفر او هي مخططة بخطوط حمر او خضر او تكون من حرير وقطن) وكان يبدل في الصيف الكوفية بالياشمق[٣] او اليشماغ اي

وارسل براسيها الى سعيد بك . وبعد ان وفق سعيد بك هذا التوفيق دخل بغداد وشرع بتولي امورها اولاً بصفة قائم مقام ثم بصفة والي وقد انتهت الولاية من الدولة في سنة ١٢٢٤ ، (= ١٨٠٩ م) اه .

ثم عاد المؤرخ الى ذكر حمود الثامر في ص ١٦٩٤ من الكتاب المذكور فقال ماتعريبه : ولما علم سعيد باشا بعزله دعا شيخ المنتفق حمود الثامر فقاوم سعيد باشا داود باشا وكان عليه الفرمان العالي الشان وكان معه خمسة آلاف عسكر من الاهالي والعربان . ولما لم يقدر على تدبير العسكر الذي جمعه اذن للشيخ بالرجوع ، اه .

قلت : والشيخ حمود الثامر مدفون بجانب الكرخ على بعد بضعة كيلومترات من غربي البلدة ، وهو معروف اليوم عند العامة « بقبر الشيخ » من باب الشهرة وهم يزيدون قبر الشيخ حمود الثامر وسوف ينسى العلم ويبقى ما لافائدة عظيمة في حفظه فلا يعرف بعدئذ من هو هذا الشيخ لان العوام لايفيدها الامعان في الحقائق قليلاً .

(١) هو الشيخ عقيل (مجبل) بن محمد بن ثامر ابن الشيخ سعدون وهو مدفون في الشمال الغربي من قصبة شطرة المنتفق على تل قليل الارتفاع معروف باسم صبيخ (مصغرة) واليوم لايرى لقبره اثر ظاهر .

(٢) هو الشيخ عيسى بن محمد بن ثامر ابن الشيخ سعدون وقد احرق عمداً بينما كان في صريفته (الصريفة بيت يتخذ من القصب والحصر يأوي اليه اغلب اعراب جنوبي العراق) فمات . وعمل لهذه الواقعة تاريخ هو « الشيخ حريق » يقابله سنة ١٢٥٩ ، الموافقة لسنة ١٨٤٣ م .

(٣) الياشمق او اليشماغ عند العراقيين قطاع من القطن الابيض فيه نقوش مدملكة

القناع الاحمر او بالنيمة (١) .

وكان يلبس من الثياب الزبون (٢) عليه سترى من شعرى او من كتان فى الصيف ومن چوخ فى الشتاء . وعلى الزبون والسترى يلبس عباءة الصوف من اى لون كانت فى الشتاء او من حرير صبغ (چيتاوى) ابيض او من صوف رقيق فى الصيف .

وكان يلبس برجله اما النعل واما الموق (القندرة او الكندرة) اذا كان فى البادية والموق والجرموق (اى الكندرة والكاوش) مع الجوارب اذا دخل المدن . وكان يحب جدا شرب التبغ او (الدخان) .

ولم يكن من طبعه التأنق بالمأكل والمشرب والملبس وانما كان يجارى كل قوم فى مألوف امور معيشتهم من باب الحكمة والدهاء والسياسة .

وكان اذا جلس فى موضع لا يزال يلتفت الى كل جهة لتيقظ باله وانتباه فكره واشتغال خاطره بما حواليه وهمامه بكل ما يقع فى جواره من دقائق الامور وجلائلها . وكان يونس جلاسه غاية الايناس بكل كلام طيب بدون ان يمس ذلك وقاره وسمته ورزانته وهيبته بل يبقى مكرماً مبجلاً فى نظرهم كما يبقى محافظاً على آداب مقامه العالى . ومن غريب امره انك تراه يخاطب كل رجل بما يناسب اشغاله او مقامه او بما يعنى به فمع التاجر تسمعه يتكلم عن التجارة وشيخ الاعراب عن اعرابه وغزواته وموظف الحكومة عن شؤونها والقادم من المدن عما وقع او يقع فيها الى اخر ما هنالك .

الناصرية متفق

أنواع التمور المشهورة عند الاقدمين

Liste des anciennes qualités de dattes.

العراق مشهور بتموره وكذلك الديار المجاورة له كديار العرب . وديار العجم

بارزة تكون من القطن ايضاً لكن من القطن الازرق او الاحمر يتخذ للراس (١) النيمة نوع من الخام يطرز بالشعر وهو كالاغباني الهندى والاغباني لفظة تركية تعريب آقى اياقى وهو السير آو العربية الفصحى وكلة نيمة تركية فارسية الاصل من نيم بمعنى نصف .

(٢) الزبون عند العراقيين هو القباز عند اهل الشام والقباء عند فصحاء العرب سابقاً .